

الشعر الديني الأمازيغي : مقارنة للبنى والخصائص

فاطمة فائز

جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير

مقدمة

يحتل الشعر مكانة مميزة بين الفنون والتعبير الأدبية في المجتمع الأمازيغي؛ لأنه بقدر ما كان يعبر عن حياة الناس ويخاطب عقولهم، كان يعبر أيضا عن وجدانهم وعن تجاربهم العرفانية وأحوالهم الذوقية؛ ولذلك لطالما كان يضطلع بدور التعليم والتوجيه والوعظ والإرشاد الديني إضافة إلى تحقيقه للمتعة والتسلية. والشعر الذي يعنى بالتعليم الديني وبالتجارب الوجدانية ويرتبط في المجمل بمناسبات دينية وأحيانا اجتماعية هو الذي نسميه -في سياق هذا المقال- بالشعر الديني، ويمكن أن نميز ضمنه بين نمطين مختلفين:

النمط الأول هو عبارة عن مقاطع قصيرة في الغالب، ونادرا ما تكون نصوصا طويلة، مجهولة المؤلف ومتوارثة جيلا بعد جيل، ويتم تداولها وفق الآليات نفسها التي تتداول بها الأجناس الشعرية التقليدية الأمازيغية الأخرى، خاصة تلك المرتبطة منها بالطقوس مثل أشعار الأعراس وأشعار الجنائز.

وهذا النمط من الشعر الديني الذي يمكن أن نسمه بنمط المقاطع، مبني على الصيغ الشفاهية التي تستبطن علاقة مباشرة بين المؤدي والمتلقي، ومؤسسة على خصائص لغوية وجمالية تلتصق بالذاكرة وتحفز عملية التذكر التي تعطي حيوات متعددة للمتن الشعري.

أما النمط الثاني فهو عبارة عن منظومات ومقطوعات شعرية تعليمية طويلة، أنتجها الفقهاء حول مباحث الدين من توحيد وصلاة وزكاة وحج وصوم، بالإضافة لسير الأنبياء وقصص الأقوام والحضارات السابقة.

وهذا النمط الثاني الذي يمكن أن نسمه بنمط القصائد، منظوم في قوالب فنية بسيطة وبلغة أمازيغية ممزوجة بمعجم عربي، لتكون سهلة الحفظ والتناول من لدن العامة.

وينفرد هذا الجنس الشعري بنمطيه بعدد من الخصائص التي تميزه عن غيره من الأجناس، وتكسبه هوية فنية خاصة، وتجعل منه شكلا شعريا مستقلا، من حيث لغته وأوزانه وبنيته العامة والأسماء الدالة عليه، ومن حيث منتجه ومناسبات وطرق أدائه والوظائف التي يؤديها ضمن النظام الاجتماعي سواء من الناحية التعليمية والتربوية أو الاجتماعية والنفسية.

خصائص الشعر الديني الأمازيغي من حيث علاقة الاسم بالمسمى

من بين أهم ما يميز الشعر الأمازيغي في عمومته، بما في ذلك الشعر الديني، كثرة الأسماء الدالة عليه، فهي متنوعة تنوع أجناسه وأشكاله¹. ومما ساهم في إغناء معجم المفردات الدالة على الشعر؛ تعدد التنوعات اللهجية المتداولة في المجال الأمازيغي، بالإضافة لتعدد الصيغ الصرفية التي تتخذها هذه المفردات، سواء الصيغ الصرفية الأصلية أو المقترضة من العربية والخاضعة لتغييرات بسيطة أو معقدة. مع الإشارة في الوقت ذاته إلى وجود معجم مشترك بين أكثر من تنويع لهجية بسبب ارتباط هذا النوع الشعري بالاسلام وبممارساته². ومن أهم ما يمكن تسجيله كذلك بخصوص أسماء الشعر الديني التداخل ما بين أسماء الأنواع الشعرية ومسمياتها، فقد يحدث أن تجد لفظا واحدا متداولاً في مجالات لهجية مختلفة، يحيل على أشكال شعرية متباينة، كما يحدث أن تجد ألفاظاً متعددة راجعة إلى مجالات لهجية مختلفة تحيل على نوع شعري ذي بنيات متماثلة³. ومن أهم الأمثلة على هذا الإشكال شعر "أهلل" الذي يحيل على الشعر الديني في كثير من مناطق المغرب والجزائر، غير أن ميلود طايبي يقدمه على أنه نص شعري ينفتح على تيمات تلمس مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، تتجاوز أسطره الشعرية أحيانا المائة سطر، يفتتح باستهلال ديني قبل الخوض في موضوعه الأساسي الذي يعكس تصورات وقيم ومعتقدات الجماعة، ويختتم غالباً بمقطع واحد⁴. وقد اشتغل طايبي على نموذج يتجاوز المائة سطر، يتكون من ثلاثة عشر مقطعا وكل مقطع يضم ثمانية أسطر شعرية⁵، وانطلاقاً من الخصائص التي فصل فيها طايبي ومن النص المذكور، فإن هذا الشكل من "أهلل" لا يعدو أن يكون غرضاً شعرياً ضمن الجنس الشعري تامديازات يعنى حصراً بالمواضيع الدينية.

خصائص الشعر الديني الأمازيغي من حيث البنية

أولاً: من حيث الشكل

يتسم هذا الشعر بعدد من الميزات على مستوى الشكل والوزن وكذلك على مستوى اللغة، فمن حيث الشكل يأتي هذا الجنس الشعري على شكل نصوص مطولة، كما يأتي على شكل مقاطع متفاوتة الطول. الشكل الأول نجده متداولاً على

1 اشتغلنا على أسماء الشعر الديني في عمل سابق وهو قيد النشر: "مفردات الشعر الديني الأمازيغي، جمع وتعليق"، وهو قيد النشر ضمن كتاب جماعي محكم، بتنسيق ربيعة معروف، منشورات مختبر الدراسات والأبحاث في اللغة والأدب والثقافة والهوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير.

2 Bounfour, abdellah, Introduction à la littérature berbère, 1- La poésie, p.18.

3 Akouaou, Ahmed, « Poésie orale berbère: statut, formes et fonctions », p. 74.

4 Taifi, Miloud, « L'autre voix: la codification de la transition dans le genre poétique dit Ahllél », p. 98-99.

5 Taifi, Miloud, « poésie, don de Dieu », p.202-206.

- طولها الذي يتراوح بين عشرات الأشرطة والمائة شطر أو يزيد⁷.
- تحررها من سلطة الاستهلال الديني؛ بحكم موضوعها الذي يعنى في كليته بالقضايا الدينية.

- وحدة موضوعها وعدم تنقلها بين التيمات المختلفة.
وحسب أبروس فهذه القصائد الطوال تنتم بنوع من الثبات والتواتر⁸. وهذا توصيف منطقي تعززه عدة معطيات، من بينها أن هذه النصوص غالباً ما تكون متسلسلة وسلسة تلتقطها الأذان وتحفظها الذاكرة بسهولة.
ومن نماذج النصوص المطولة قصيدة "محمد بو أنوار" التي تتحدث عن شمائل النبي والتي تصل لأزيد من سنتين شطراً شعرياً⁹، وهي من أهم المدائح التي تؤدي جماعياً من لدن الرجال في المناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة:

ርገጸጸጸጸ ለ ፀፃ ዘፀጋፀ
 ፀፀዘፀተ ሓደጸ ፀፃፀፀ
 ጸፀፀፀ ዘፀፀ ለፀፀ
 ጸፀፀፀፀ ርፀፀ ጸፀ (ጸ)
 ፀፀፀፀ ዘፀፀ ፀፀፀ ጸፀፀፀ
 ጸፀፀፀ ፀፀፀ ጸፀፀፀፀፀ (ጸ)
 ፀፀፀ ፀፀ ፀፀፀፀ ፀፀፀ
 ዘፀፀፀፀ ተዘፀ ፀፀፀ (ጸ)

ترجمة تقریبة:

محمد يا صاحب الأنوار
الصلاة عليك يا رسول
أعزك الباري تعالى
وهو أعظم شأنك
بسم الله هو الكلام الطيب
وهو أفضل الكلام
به أبداً كلامي
وهو عين البركة

⁶ Abrous, dahbia, « kabylie: littérature », *encyclopedia berbère*, Vol. 26, 2004.

⁷ يزواج هذا النمط الشعري بين نظامي الأشطر الأحادية ونظام الشطرين أو البيت الشعري بينما يتقيد النمط التقليدي بنظام الشطر الأحادي.

⁸ Abrous, dahbia, « kabylie: littérature ».

⁹ مقابلة مع أ، ابراهيم، 80 سنة، تمنارت-طاطا.

إلى جانب هذه القصائد الطويلة نجد مقاطع شعرية متعددة الأشرطة، وقد لاحظنا غلبة المقاطع الشعرية ثنائية ورباعية الأشرطة في مناطق الجنوب المغربي، في حين تحدث غيرنا عن مقاطع سداسية الأشرطة في مناطق القبائل¹⁰. وحسب أبروس فعلى عكس النصوص الطوال المتسمة بالثبات، فإن هذه المقاطع التعليمية تطعم باستمرار بمنتجين مجهولين¹¹، وقد يبدو هذا التوصيف مقبولا إذا تعلق الأمر بالمنظومات الدينية التي يتم تلقينها في المساجد والزوايا عن ظهر قلب، في مقابل شعر المقاطع الذي يتداول عبر القنوات الأخرى، ويتعرض باستمرار للتغيير أو التصحيف. وبخصوص المقاطع الشعرية ثنائية الأشرطة فقد وقفنا في الجنوب الشرقي المغربي على نماذج متعددة، خاصة تلك المؤداة لحظة احتضار الميت وأثناء تغسيله وتجهيزه للدفن، ومن أمثلة هذه المقاطع المقطع الشعري التالي الذي يناجي من خلاله الشاعر روحه ويوصيها بأن تصير حمامة بعد وفاته وأن لا تكون غرابا هائما:

⊙⊙⊙ X CC&+Y ⊙ QQ&X ΣI⊙ ⊙Λ +X+ ⊙+ΘΣO(⊙)
⊙Λ ⊙O +XΣC ⊙X⊙⋈U⊙O ⊙Λ Σ++C&I Λ +⊙I⋈HΣI¹²

ترجمة تقريبية:

يا روعي بعد المنية صيري حمامة

لا غرابا يهيم في الآفاق

وهذا مقطع ثنائي آخر يناجي من خلاله الشاعر بلسان المتوفى شخصيتين دينيتين هما فاطمة الزهراء كريمة الرسول وزوجها علي ابن أبي طالب، ويتوسل إليهما بأن يحفاه بفضلهما وكرمهما أثناء تجهيزه وتحنيطه وأثناء إيداعه قبره:

CC Λ⊙ I++ΣOΣΛ ΘΛΛ ⊙IY ⊙ ⋈HΣΘ I I IΘΣ
ΣΘΛΛ HY⋈Σ HIX YQ UΣHIXY ΣZV⋈J (Σ)¹³

ترجمة تقريبية:

حين غسل جثمانني كوني معي يا كريمة النبي

وليكن الغازي علي مع حفار قبري

بالإضافة لهذه المقاطع الثنائية الأشرطة وقفنا في الجنوب الشرقي المغربي كذلك على نماذج متعددة من المقاطع الشعرية رباعية الأشرطة، وهي مقاطع تؤدي لإحياء حفل التأبين الذي يصادف اليوم الثالث لوفاة المتوفى، من أمثلة هذه المقاطع المقطع الرباعي التالي الذي يصف من خلاله الشاعر بلسان المتوفى جثمانه المتيبس وعيونه الغائرة مناجيا فاطمة الزهراء طامعا في شفاعته النبي عليه السلام:

¹⁰ Aït Ferroukh, Farida, et autres, « Le chant kabyle et ses genres », *Encyclopédie berbère*, Vol. 12, 1993.

¹¹ Abrous, dahbia, « kabylië: littérature », *Op cit*, p. 4071-4074.

¹² مقابلة مع ع، تودة، 83 سنة، بونو، امحاميد الغزلان- زاكورة.

¹³ مقابلة مع س، موحى، 80 سنة، إكثيون-تغغير.

⊙%ИУ ◦Λ ΧΥ ◦⊞⊞ %ZΘ%
 ZZ◦QY ΣΧΧΧΣΠ ΣΧQΣ
 ◦%И ◦Υ Λ Θ◦Θ И⊞ (◦)
 ◦Λ ◦ИΥ ΣΘΛΛ ◦ И◦ИИ◦¹⁴

ترجمة تقريبية:

سوف أصير قطعة خشب
 سأتييس وتخضر عيناى
 ابغني لى أباك (النبي)
 كى يساندنى يا سيدتى
 وهذا مقطع رباعى آخر قوامه الصلاة على النبى، مع إحصاء هذه الصلوات بما
 يوحى بكثرتها وبتعددتها عدد النجوم والشموس والبحار.

◦ ΘΘИ◦+ ΗИΣΚ ◦ ИΘΣ
 И◦ΛΛ◦Λ Ι +◦⊞%QYΣ
 Λ Σ+O◦Ι Λ +◦И%Σ+ (Σ)
 Λ ИΘΛQ Λ И⊞◦И◦ΣΚ◦¹⁵

ترجمة تقريبية:

الصلاة عليك يا أيها النبى
 بقدر أسراب الجراد
 بقدر النجوم والشمس
 والبحار والملائكة

ثانيا: من حيث الإيقاع

يعد الإيقاع من أسس الشعر، ومن أهم العناصر التي تتشكل من خلاله بنية النص الشعري وجماليته، وينقسم إلى الإيقاع الداخلي (الصيغ الصرفية والتراكيب اللغوية...) والإيقاع الخارجي (الوزن، القافية...). وسنهتم بعنصر واحد هو الوزن، من خلال النظر في التوازن والتناسق بين عدد المقاطع، ولن ننشغل بالعناصر الأخرى من صيغ صرفية وتراكيب لغوية، على اعتبار أن عناية هذا الجنس الشعري باللغة تكون ثانوية.

ويبدو أن دور الوزن في الشعر الديني يتجاوز الوظيفة الجمالية إلى وظائف ترتبط بالهدف العام لهذا الجنس الشعري، فانتظام مقاطعه واتساق كلماته تدعم عملية التلقين وتسهل عملية الحفظ والتذكر. وهذه من الوسائل المهمة لبلوغ الغايات النفعية الأساس المؤسسة لوجوده.

¹⁴ مقابلة مع ب، زهرة، 76 سنة، أوفوس-الراشدية.

¹⁵ مقابلة مع ب، زهرة، 76 سنة، أوفوس-الراشدية.

وبالرغم من اعتناء الشعر الديني بالوزن الشعري بشكل كبير جدا¹⁶، إلا أنه لا يوظف أوزانا متعددة ولا يستحدث أخرى جديدة كما هو الشأن في العديد من أجناس الشعر الأمازيغي الشفوي وأنماطه، فهو يعتمد أوزانا بسيطة وقصيرة في الغالب، ولعل هذه الخاصية هي التي ساهمت في سهولة حفظه وتداوله بين عامة الناس. صيغ طويلة من حيث أوزانها مديدة من حيث ألقانها وتحتاج لنفس قوي على مستوى الأداء، ومن أمثلتها المقطع التالي والذي يذكر من خلاله المؤدي اسم الجلالة ويحصى الآلاف منها صدقة للموتى من الأهل والأحبة:

oHx Λ Cxox I HoϕHΦo ΣHHo HHΦ oΘ IΘΛo
oΛ H IϕHϕ Σ HΛΛϕ ΣCCxH oΛ II xHxH ϕxϕ (o)
oΛ H IϕHϕ Σ ΘΘo Λ ϕHx oΛ II xHxH ϕxϕ (o)¹⁷

ترجمة تقريبية:

بألف ومائة من لا إله إلا الله أبداً قولي
أبعث بها للميت لعلها تصله
أبعث بها لو الذي لعلها تصلها

من أمثلة هذه الصيغ الطويلة نجد كذلك مقطعا يتساءل من خلاله المؤدي عن أحوال الميت وعن حال القبر، ويتحسر على عدم قدرته التعرف على مآل الميت وما إذا كان سعيدا أم شقيا، يحفه النور أم تحيط به العتمة:

Hxo ΣΛΛo ΛΛΛo xO ΘO Λ ϕHxH
xO ϕH IIxI ΣHHoΘ Hx ΣΘΘΛΛ xHϕoQ¹⁸

ترجمة تقريبية:

من رحل عنا لا يعود للعنقا أبدا
لا يخبرنا عن القبر أهو نير أم معتم

إضافة إلى هذه الصيغ الطويلة نجد صيغا ذات أوزان قصيرة، سلسلة وسهلة على مستوى الأداء، وهي السمة الغالبة على هذا النوع الشعري، ومن أمثلتها المقطع التالي والذي يتكلم بلسان المتوفى ومن خلاله يصف الميت مدفنه ويشكو حاله لأهله وأحبته:

oCO Σ Hoxϕ+ o CCo HΛ

¹⁶ قد يحدث أن ينكسر الوزن في أحد أو بعض الأقطر الشعرية غير أنه يتم تجاوز هذا الخلل باللحن أثناء الأداء.

¹⁷ مقابلة مع ز، حفيضة، 23 سنة، تمتنوش-تنغير.

¹⁸ مقابلة مع ع، تودة، 83 سنة، بونو، امحاميد الغزلان-زاكورة.

◦E٢◦Q II◦ X ∧ IIIΣ٢
 H٢◦H+ U◦III◦ C٢◦ II
 QЖ◦H+ +٢IЖ◦O ΣII¹⁹

ترجمة تقريبية:

لو اطلعت على حالي يا أمي
 لو اطلعت على مرفدي
 عميت عيوني يا أمي
 وتكسرت عظام وجهي

ومن هذه الصيغ ذات الأوزان القصيرة والسهلة نقف أيضا على مثال آخر يعتمد كلمة التوحيد لازمة تفصل بين عدد من الأشرطة التي تصف في عمومها أهمية التوحيد وفضله وأهمية أن يلهج به لسان المرء:

II◦٢II◦O◦ ΣIII◦ III◦O
 ٢%II O٢O◦O%I ∧ %٢%
 II◦٢II◦O◦ ΣIII◦ III◦O
 ٢%II K٢◦K٢◦K◦ ∧%IΣ+
 II◦٢II◦O◦ ΣIII◦ III◦O
 ◦ Q٢O٢Σ XΣ+ X ΣCΣ II²⁰

ترجمة تقريبية:

لاإله إلا الله
 أنقى من اللبن
 لاإله إلا الله
 تفضل ما في الدنيا
 لاإله إلا الله
 ليلهج بها لساني أبدا

ثالثا: من حيث اللغة

تعتبر اللغة الشعرية إحدى أهم المقومات الفنية والجمالية للشعر الأمازيغي؛ ذلك أنها توفر صيغا لغوية غير نمطية وغير اعتيادية، تخرق المألوف وتتعالى عليه، وتخرج بالألفاظ عن دلالاتها المعجمية، وتتشكل بصور متجددة تركيبيا ودلاليا، فمن أهم خصائص هذا الشعر أن يكون منظوما بلغة غير لغة التداول اليومي، والتي تتميز

¹⁹ مقابلة مع ز، حفيضة، 23 سنة، تمتنوشت-تنغير.

²⁰ مقابلة مع ز، حفيضة، 23 سنة، تمتنوشت-تنغير.

في مجملها بغنى المعجم وبلاغة الصورة والتشابه والرموز والأخيلة²¹. غير أنه بإمكاننا الجزم بأن الشعر الديني الأمازيغي لم يول العناية المفترضة لجمالية اللغة. ويمكن أن نميز بين نمطين اثنين من الشعر الديني بناء على طبيعة لغته الشعرية، النمط الأول وتمثله المنظومات الدينية التي اعتنت بالوزن بشكل صارم على حساب جمالية اللغة، لتكون لغته مجرد حامل لمضامين تعليمية دينية، فهو لم ينشغل بجمالية اللغة وبالمحسنات اللفظية بقدر انشغاله بالمضامين. أما النمط الثاني فتمثله المقاطع الشعرية، والتي توازن نسبيا بين اللغة الشعرية والغرض التعليمي لهذا الشعر. وفيما يبدو الخطاب المباشر واضحا في لغة المنظومات بالإضافة لغلبة المعجم العربي وكذا المقترض الخاضع للصيغ الصرفية الأمازيغية؛ فإن المقاطع الشعرية تنزاح في الغالب عن اللغة الاعتيادية والمألوفة وتحافظ في الوقت نفسه على معجمها الأصيل.

خصائص الشعر الديني الأمازيغي من حيث المضامين

تتعدد التيمات التي يتناولها الشعر الديني، بعضها يرتبط بمناسبة الأداء، والبعض الآخر عام، يشمل ذكر الله تعالى، وذكر أسماء الله الحسنى وذكر شمائل الرسول عليه السلام، وفيه تضرع إلى الله تعالى بالمغفرة وحسن العاقبة، وبالحشر مع الصالحين والصادقين والأنبياء.

من أهم التيمات التي تناولها الشعر الديني مسائل العقيدة والتوحيد، كوجود الخالق ووحدانيته، وتفرده بصفات الكمال، والإيمان برسله، وبالكتب المنزلة عليهم، ومن نماذج هذه الأشعار المقطع التالي الذي يثبت صفات الكمال لله تعالى ويحصي صفاته وأسماءه:

ⵎⵏⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ
ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ²²

ترجمة تقريبية:

الأوصاف الحسنى هي أوصاف إلهي
هو القديم الباقي الحي البصير السميع
والمقطع الموالي كذلك من المقاطع الكثيرة التي يصف من خلالها الشاعر وحدانية الله وتعالیه عن المثل وعن الشريك، وقدرته في تصريف الأمور وإرادته التي شملت كل شيء:

ⵎⵏⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ
ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ ⵉⵎⵉⵙ²³

²¹ المجاهد، الحسين، "الأدب الأمازيغي بالمغرب، تاسكلا تامازيغت: مدخل إلى الأدب الأمازيغي"، ص 15.

²² الهوزالي، محمد بن علي، بحر الدموع، تحقيق: أفا عمر، ترجمة: شرف الدين إبراهيم، ص

ترجمة تقریبة:

يصرف الأمور كما يريد
هو الواحد الأحد لا شريك له

إضافة إلى ذلك تحث هذه الأشعار على الزهد في متاع الحياة الدنيا والحث على الصبر والاستغفار من التقصير والاعتراف بالذنوب والزلات المشينة، فالمقطع التالي يصف الذنوب والخطايا على أنها أحمال تثقل كاهل الإنسان وتجعل قلبه مسودا، ولا يتحرر المرء من هذه الأحمال إلا بتعلقه بحبل الله:

ዘኢሳይያስ ስጋውን ለጸሐይና ለጸሐይና ሆኖ ለጸሐይና
 ሆኖ ለጸሐይና ሆኖ ለጸሐይና ሆኖ ለጸሐይና²⁴

ترجمة تقریبة:

الذنوب هي أحمال تثقل قلب الإنسان
لا يتخفف منها غير المتعلق بحبل الله

المديح النبوي كذلك حظي بمكانة خاصة ضمن تيمات الشعر الديني، فقد عالج هذا الجنس الشعري تيمات تخص مدح النبي وتعداد صفاته الخلقية والخالقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، والمقطع الموالي يوضح جانباً من هذا المديح:

𐎲𐎠𐎧𐎺 𐎠𐎢 𐎡𐎺 𐎲𐎺 𐎲𐎺 𐎲𐎺
 𐎲𐎠𐎧𐎺 𐎠𐎢 𐎡𐎺 𐎲𐎺 𐎲𐎺 𐎲𐎺
 𐎡𐎺 𐎲𐎺 𐎡𐎺 𐎡𐎺 𐎡𐎺 𐎡𐎺 𐎡𐎺
 𐎡𐎺 𐎲𐎺 𐎡𐎺 𐎡𐎺 𐎡𐎺 𐎡𐎺 𐎡𐎺²⁵

ترجمة تقریبة:

ليس لفضلك حدود
وليس لحماك حدود
ليس هناك من هو
أفضل مقاماً منك

خصائص الشعر الديني الأمازيغي من حيث الأداء

- من حيث جنس المؤدي

يؤدي الشعر الديني الأمازيغي بشكل جماعي من لدن الرجال ومن لدن النساء؛ إلا أن بعض الأنماط تختص بها النساء دون الرجال؛ إذ أنهن أكثر يقظة تجاه كل

²³ نفسه، ص 38.

²⁴ أرنّاك، ابراهيم بن عبد الله، المخطوط الأمازيغي في المجال السوسي: شرح منظومة "تزناكت"

للحسن التاموديزتي، ص 53.

²⁵ مقابلة مع أ، ابراهيم، 80 سنة، تمنارت-طاطا.

الاحداث والمناسبات الاجتماعية وأكثر تفاعلا معها²⁶، كما أنهن أكثر تأثرا بالخطاب الصوفي وأكثر إنتاجا له²⁷.

وفي هذا الصدد نجد نورة تيكزيري تصنف الشعر الديني "أذكر" ضمن الأشعار المرتبطة حصرا بالنساء، والتي عادة ما يؤدينها في المناسبات الجنائزية بالقرب من جثمان المتوفي في انتظار أن يحضر الطلبة لتلاوة القرآن على روحه وتجهيزه وإيداعه قبره²⁸، فيما يشير الطاهر قسام إلى أن النساء كان لهن النصيب الأوفر في أداء هذا الشعر دون أن يخصهن به²⁹، وفي المقابل يعتبر دومان الشعر الديني "أذكر" صنفا نبيلًا يختص به الرجال أكثر من النساء³⁰.

- من حيث مناسبة الاداء

يرتبط هذا الجنس الشعري بالعديد من المواقف والمناسبات، شأنه في ذلك شأن الكثير من الأجناس الشعرية، التي لم تكن يوما شأنًا فرديًا أو ممارسة لصيقة بالنخبة بقدر ما كانت فعلا اجتماعيا يغشى كل الأنشطة اليومية³¹. ويؤدي هذا الجنس الشعري خلال المناسبات والأعياد الدينية بهدف الاحتفاء³²، مثل عاشوراء ومنتصف رمضان وليلة القدر وذكرى المولد النبوي³³ أو مرافقا للشعائر الضرائحية³⁴ واحتفاء بمواكب الحجاج³⁵. كما يؤدي خلال المناسبات الاجتماعية كالأعراس³⁶ وغيرها من المناسبات العبورية³⁷ خاصة منها الجنائز³⁸. كما قد يؤدي جماعيا في المجالس التي تقام للوعظ والارشاد دون مناسبة أو خلال أيام

²⁶ Kherdouci, hassina, « La poésie féminine anonyme kabyle, thématique(s) corporelle(s) », p.150.

²⁷ Doumane, said, « le chant religieux », *Revue des Études Berbères*, n°9, p.288.

²⁸ Tiziri, Noura, « A propos d'un genre poétique féminin: Abaghur », p.115.

²⁹ كسام، محمد، سي محمد أومحمد، من القبائلية إلى العربية الجزائرية، الجوهرة الأسطورة حياته وأشعاره، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2016، ص 10.

³⁰ Doumane, said, « le chant religieux », *Op cit*, P 276.

³¹ Lahlou, abdelhak, « poesie orale kabyl ancienne, histoire, mémoire et patrimoine », 2018, p. 108.

³² أمير، عمر، رموز الشعر الامازيغي وتأثيرها بالاسلام 2003، ص 92.

³³ أبرنوص، جمال، الشعر الامازيغي الريفي التقليدي؛ بحث في النص والسياق، 2017، ص 255.

كسام، محمد، سي محمد أومحمد، من القبائلية إلى العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 10.

³⁴ Doumane, said, le chant religieux, *Op cit*, P 275.

³⁵ Amrouch, Jean, chants berberes de kabyle, Edition charlot, 1947, P 41.

Doumane, said, le chant religieux, *Op cit*, P 275.

³⁶ Amrouch, Jean, chants berberes de kabyle, *Op cit*, P 41.

³⁷ أبرنوص، جمال، الشعر الامازيغي الريفي التقليدي، مرجع سابق، ص 255.

³⁸ Amrouch, Jean, chants berberes de kabyle, *Op cit*, P 41.

الجمعة في الأماكن التي لها قدسية كالمساجد والزوايا وأضرحة الأولياء³⁹؛ أو ينشد بشكل فردي بهدف المواساة والتهنئة في الأماكن التي يخشى خطرها⁴⁰ أو في حالة التضرع أو الألم أو الخذلان⁴¹.

خصائص الشعر الديني الأمازيغي من حيث الوظائف

يؤدي هذا النوع الشعري عدة وظائف داخل المجتمع الأمازيغي، بعضها ذو تأثيرات تربوية ونفسية والبعض الآخر ذو تأثيرات اجتماعية، فالإلقاء الجيد والأداء الحسن للشعر الديني يجعل القلوب تطرب كما الأسماح، ويجعل الخطاب يصل عبر الأصوات الرخيمة للمؤدين أكثر مما يصل عبر القنوات الكلاسيكية لرجال الدين؛ ذلك أن مجموع القيم المدنية الاجتماعية والأخلاقية والدينية يمر أساسا عبر الكلمة الشعرية⁴².

ويعتبر الإعداد والتأطير النفسي للأفراد والجماعات إحدى أهم الوظائف التي يؤديها الشعر الديني الأمازيغي، فلطالما بثت القيم الإنسانية والأخلاق الحميدة عبر هذه الأشعار التي تجذب إليها النفوس؛ بفضل انزياحها في الغالب عن الخطاب الوعظي المباشر وعن الأساليب الصريحة.

فبهذه الأشعار يواسي المكلم نفسه ويخفف المنكسر ألمه ويروح الشقي عن نفسه، بها تكسر المرأة رتابة الأعمال المنزلية ويتعاضد الرجال أثناء إنجاز أعمالهم جماعيا، وبه يشيع الموتى إلى مثواهم الأخير⁴³.

يضطلع الشعر الديني الأمازيغي كذلك بعمليات المواكبة الاجتماعية والعمل على تمرير القيم الجمعية وغرسها في نفوس العامة، وإعداد الفرد للانخراط بشكل إيجابي في المجتمع، ليصير الشعر بذلك، وكما تؤكد بوليت كالون بيرني، الأيقونة التي تواكب إيقاع الحياة وتتوج كل المناسبات الاحتفالية منها والفلاحية، المرتبطة منها بالشعائر الضرائية أو الأعمال اليومية⁴⁴.

استنتاجات

في نهاية هذا المقال يمكن أن نجمل أهم الخصائص التي يتميز بها الشعر الديني الأمازيغي في عدد من النقاط، من ضمنها:

³⁹ أمير، عمر، رموز الشعر الأمازيغي وتأثيرها بالاسلام، مرجع سابق، ص 92.

أبرنوص، جمال، الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي، مرجع سابق، ص 255.

⁴⁰ أمير، عمر، رموز الشعر الأمازيغي وتأثيرها بالاسلام، مرجع سابق، ص 92.

⁴¹ Doumane, said, le chant religieux, *Op cit*, P 275.

⁴² Lahlou, abdelhak, poesie orale kabyl ancienne, *Op cit*, p 110.

⁴³ ibid, p 108.

⁴⁴ Paulette Galand-Perne, Littératures berbères: Des voix, des lettres, p.28.

- كثرة الأسماء الدالة عليه وكثرة المفردات الدالة على أنماطه وعلى أجناسه الشعرية، وكذا كثرة صيغها وفقا للتنوع اللهجي ووفقا للصيغ الصرفية التي تتخذها هذه المفردات، سواء الصيغ الصرفية الأصلية أو المقترضة.
- تعدد أشكاله وأوزانه، فمن حيث الشكل يأتي على شكل نصوص طويلة، كما يأتي على شكل مقاطع متفاوتة الطول. أما من حيث الوزن فهو منضبط بشكل صارم للأوزان المتعارف عليها خاصة البسيطة منها والقصيرة.
- عدم انشغاله بجمالية اللغة وبالمحسنات اللفظية وبالرمز والتصوير بقدر انشغاله بالمضامين .
- تعدد التيمات التي يتناولها، بعضها يرتبط بمناسبة الأداء، والبعض الآخر عام يشمل مسائل العقيدة والتوحيد والأخلاق، فضلا عن الزهد والمديح النبوي.
- أدائه يشمل الرجال والنساء، لكن بعض أنماطه تختص النساء حصرا بأدائها دون الرجال.
- ارتباط أدائه وبالمناسبات الاجتماعية والعبورية وبالأعياد الدينية، كما قد يؤدي جماعيا أو فرديا دون مناسبة خاصة.
- تحقيقه للعديد من الأدوار والوظائف الاجتماعية والتربوية والتوجيهية بفضل ابتعاده عن الخطاب الوعظي المباشرة والصريح.

لائحة المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع باللغة العربية:

- تحريات ميدانية.
- أبرنوص، جمال، الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي؛ بحث في النص والسياق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة، ط 2017.
- أسويق، محمد، الشعر الأمازيغي القديم: جمالية البلاغة وسؤال الهوية، مطابع الأنوار المغاربية، وجدة، 2008.
- أزناك، ابراهيم بن عبد الله، المخطوط الأمازيغي في المجال السوسي: شرح منظومة "تزناكت" للحسن التاموديزتي، تحقيق وتعريب ودراسة الهادي، محمد، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2015.
- أمير، عمر، رموز الشعر الأمازيغي وتأثيرها بالاسلام، مكتبة دار السلام، الرباط، ط1، 2003.
- المجاهد، الحسين، "الأدب الأمازيغي بالمغرب، تاسكلا تامازيغت: مدخل إلى الأدب الأمازيغي"، أعمال الملتقى الأول للأدب الأمازيغي بالدار البيضاء 1991، الرباط، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، مطبعة المعارف الجديدة،
- الهوزالي، محمد بن علي، بحر الدموع، تحقيق أفا عمر، ترجمة شرف الدين ابراهيم، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، 2009.
- كسام، محمد، سي محند أومحمد، من القبائلية إلى العربية الجزائرية، الجوهرة الأسطورية حياته وأشعاره، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، 2016.

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

- Aït Ferroukh, F. et al. (1993), « Le chant kabyle et ses genres », Encyclopédie berbère, Vol. 12.
- Akouaou, A. (1987), « Poésie orale berbère: statut, formes et fonctions », Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°44.
- Abrous, D. (2004), « kabylie: littérature », encyclopedie berbère, Vol. 26, 4071/4074.
- Amrouch, J. (1947), chants berberes de kabyle, Edition charlot.
- Bounfour, A. (1999), Introduction à la littérature berbère, 1- La poésie, Paris-Louvain, Peeters.

- Doumane, S. (2012/2013), « le chant religieux », Revue des Études Berbères, N 9.
- Kherdouci, H. (2010), « La poésie féminine anonyme kabyle, thématique(s) corporelle(s) », in Asinag, N° 4-5, IRCAM.
- Lahlou, A. (2018), « poesie orale kabyl ancienne, histoire, mémoire et patrimoine », quaderns de la mediterrania N 27.
- Galand-Perne, P. (1998), Littératures berbères: Des voix, des lettres, Paris, PUF.
- Taifi, M. (2005), « poésie, don de Dieu », in La littérature amazighe: Oralité et écriture, Spécificités et perspectives, Actes du Colloque International organisé par CEAELPA, Rabat, Les 23, 24 et 25 octobre 2003, Publications de l'IRCAM- Rabat.
- Taifi, M. (2009) « L'autre voix: la codification de la transition dans le genre poétique dit Ahlhel », in Les types poétiques amazighes traditionnels, Actes du Séminaire organisé par le CEAELPA, Rabat, Les 30 septembre et 01 octobre 2005, Publications de l'Institut Royal de la Culture Amazighe.
- Tigziri, N. (2009), « A propos d'un genre poétique féminin: Abaghur », in Les types poétiques amazighes traditionnels, Actes du Séminaire organisé par le CEAELPA, Rabat, Les 30 septembre et 01 octobre 2005, Publications de l'Institut Royal de la Culture Amazighe.